مادة فقه السيرة

د. عبد العظيم بدوي

الدرس (6)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.تحدثنا -أيها الإخوة- في آخر درس من دروس

سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام- عن خروجه -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة مهاجرًا مع صاحبه أبي بكر -رضي الله عنه- ----وذكرنا بعض الوقائع التي وقعت في الطريق من مكة إلى المدينة.

نقلنا قصة أم معبد،----- وقصة سراقة بن مالك ---الذي أغرته الفدية التي جعلتها قريش لمَن يأتي بمحمد وصاحبه أحياءً أو أمواتًا، مئة ناقة، فذكرنا كيف خرج سراقة حريصًا على إدراك النبي وصاحبه والعودة بهما، وكيف حفظ الله -تبارك وتعالى- رسوله -عليه الصلاة والسلام- من سراقة. الآن نواصل الحديث.

***** ما الذي وقع في الطريق إلى المدينة؟

***** **وكيف وصل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة؟**------

*****وكيف استقبله أهل المدينة؟

*****وما هي أهم الأعمال التي بدأ بها النبي -صلى الله عليه وسلم- حين استقرَّت قدمه في المدينة؟

***** وكيف بدأ التشريع من رب العالمين -سبحانه وتعالى- ينزل على رسوله -صلى الله عليه وسلم؟

فنقول -وبالله تعالى التوفيق:

مما وقع في الطريق إلى المدينة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لقيَ الزبير بن العوام في ركبٍ من المسلمين كانوا تجارًا عائدين من الشام، الزبير بن العوام كان في الشام مع نفر من المسلمين، -------وهم في رجعهم من الشام إلى مكة التقى بهم الرسول بهم في الطريق إلى المدينة، **فكسا الزبيرُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكرٍ ثيابًا بيضاء**، -----كساهما ثيابًا بيضاء اشتراها من الشام وراجع بها،

-ولما بلغ المسلمين بالمدينة مخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة هو وصاحبه الصديق -رضي الله تعالى عنه- كانوا يخرجون كل غداة، كل يوم الصبح يخرجون إلى الحرَّة خارج المدينة في انتظار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يرجعون إلا إذا اشتدَّ الحر، ففعلوا ذلك مرارًا،-------- كل يوم يرجعون، يخرجون ويرجعون، فانقلبوا يومًا بعدما طال انتظاره، انتظروا كثيرًا ولم يأتوا؛ فرجعوا.

فلما آووا إلى بيوتهم إذا برجل من اليهود صعد على سطح داره فرآى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه مبيَّضين -عليهم الثياب البيض- التي كساهما الزبير.-------يزول بهما السراب، فلم يملك اليهودي أن صاح بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدُّكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف، **وكانت منازل بني عمرو بن عوف في قباء.**

وكان ذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.----وقيل لهلال ربيع الأول.------وقيل لليلتين خلتا منه.-----وقيل لثمانٍ.

وقال بعضهم: لاثنتي عشرة ليلة -والله تعالى أعلم.

فقام أبو بكرٍ للناس يتلقَّاهم -يستقبلهم- وجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صامتًا لا يتكلم، ------فطفق مَن جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم----- ولم يعرفه من قبل يُحيِّي أبا بكر، لأنه لا يعرف الرسول -عليه الصلاة والسلام----- حتى أصابت الشمس رسول الله -صلى الله عليه وسلم---- فأقبل أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك.

فأقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **في بني عمرو بن عوف أربعة أيام**، هي: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس.

وخرج يوم الجمعة من قباء قاصدًا دخول المدينة.وكان نزوله -صلى الله عليه وسلم- في قباء **على كلثوم بن الهِدم أخي بني عمرو بن عوف**.----**وقيل: بل نزل على سعد بن خيثمة**،------ ولا منافاة بين القولين، فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يبيت عند كلثوم، فإذا أصبح جلس في بيت سعد بن خيثمة، ----وذلك أنه كان عزبًا لا أهل له، وكان يُقال لبيته "بيت العزَّاب" ولذلك نزل عليه العُزَّاب من المهاجرين.

ونزل أبو بكر -رضي الله عنه- على رجل آخر هو خبيب بن إيساف،---- أحد بني الحارث، خارج المدينة.

وعليٌّ -رضي الله عنه- كما عرفنا قد نام في فراش النبي ليلة الهجرة بأمره -عليه الصلاة والسلام.

فأقام عليٌّ -رضي الله عنه- بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها، حتى أدَّى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الودائع التي كانت عنده للناس.

وهذا -يا إخواني- من آداب الإسلام التي يجب على المليمن أن يتعلموها، الرسول -عليه الصلاة والسلام- **كان ملَّقبًا في قومه بالصادق الأمين**،---- حتى بعد البعثة ومع حربهم له واضطهادهم له كانوا لا يأتمنون على أموالهم غيره، وهم يحاربونه كانوا يضعون عنه الودائع.**-انظر كيف تجلت الأمانة--** لما اتفقوا على قتله، وأذن الله له في الهجرة، لم يأخذ الودائع والفوس وهرب، وقال هو جماعة يريدون قتلي؛ لا، أمر عليًّا أن يبيت في مكانه، وإذا أصبح يرد الودائع إلى أهلها، فالأموال -يا إخواننا- له حرمة، ولا يصح لمسلم أن يستحلَّ مال الكافر بدون مبرر وبدون سبب شرعي.

فقضى عليٌّ ماعنده من الودائع ثم لحق برسول الله --صلى الله عليه وسلم- فأدركه بقباء بعد وصوله بليلتين أو ثلاث، فكانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين، ثم خرج مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة.

فخرج -عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة -كما قلنا- **يوم الجمعة قاصدًا البلد الطيب طيبة، فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في المسجد الذي ببطن الوادي---------**، فصلَّاها، وهي أول جمعة صلَّاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لأنه في مكة ما كان يستطيع يصلي.-------**ثم أتاه رجالٌ من بني سالم بن عمرو بن العوف**، فقالوا: يا رسول الله أقِم عندنا في العدد والعدَّة والمنعَة، ويتمسكون بزمام الناقة، التي كان اسمها القصواء.

فيقول لهم -صلى الله عليه وسلم-: **«خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة»**، لا تمسكوها، دعوها تمشي، تنتهي إلى حيث أراد الله -عز وجل.

ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- واضعٌ لها زمامها لا يُثنيها عن السير-------، وكلما مرَّ بدارٍ من دور الأنصار في الطريق عرضوا عليه أن ينزل عندهم في العدد والعُدَّة والمنعة، فيقول لهم مثل قولته الأولى: «دعوها فإنها مأمورة».

حتى وصلت الناقة إلى موضع مسجدة الشريف--، فبركت عنده، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- راكبٌ عليها لم ينزل.

ثم سارت الناقة، وسارت غير بعيد، ورسول الله واضع لها زمامها لا يُثنيها به،---- ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مبركها أول مرَّة فبركت فيه وألقت بجرانها، فنزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنها، **فتنازع الملأ أيهم ينزل عليه**، طبعا شرف كبير، الرسول سينزل على مَن؟ هذا شرف كبير جدًا، اختلفوا ينزل أين؟

فقال: «**إني أنزل على أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك**»، لأن أخوال النبي كانوا في المدينة -بني النجار.

ثم سأل: «**أيُّ دور أهلنا أقرب؟**».----فقال السيد الجليل **أبو أيوب الأنصاري** -رضي الله عنه: أنا، داري أقرب دارٍ. فاحتمل رحل رسول الله إلى منزله.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **معتذرًا بلطف عن النزول عند غير بني النجار**: «**المرء مع رحله**».

ثم **جاء أسعد بن زرارة نقيب بني النجار ليلة العقبة** وقد فاته شرف نزول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنده، فأخذ بزمام ناقة رسول الله فكانت عنده.

قال: الرسول لم ينزل عندي فإذن آخذ الناقة عندي،----- واعتبر هذا شرفًا وكرامة، أن ناقة الرسول تكون عنده.

وكان نزول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بدار أبي أيوب منقبة عظيمة له ولبني النجار جميعًا، وقد كان في المدينة دورٌ كثير تبلغ تسعًا كلة دارٍ محلة مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها وأهليها، ----كل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم، وهي كالقرى المتلاصقة، فاختار الله لرسوله دار بني مالك بن النجار **تكريمًا لخؤولتهم لرسول الله -صلى الله عليه**

وسلم.-----وقد أثنى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جميع دور الأنصار، فقال: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير».

وكان يومًا مشهودًا في تاريخ الدنيا، يومَ دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة راكبًا ناقته القصواء، وأبو بكر الصديق ردفه، وملأ بني النجار متقلدين سيوفهم يُرهبون بها أعداء الله ورسوله ومَن تُسوِّل له نفسه من اليهود والمشركين أن ينال من رسول الله، فلا يزال في عزة ومنعة من أخواله وأتباعه وأنصاره-----، إنه لحقًّا مشهد معبِّر يُغني عن الكلام والخُطَب.

وخرجت المدينة كلها بشبابها وشيبها وصبيانها ونسائها وولائدها لتشارك في استقبال القادم الكريم -عليه الصلاة والسلام- وليملؤوا عينهم من هذا الذي أصبح ذكره على كل لسان، وأنصاره في كل بيت.

وخرجت جواري -بنات صغار- من بني النجار يضربن بالدفوف، وهنَّ يقلن: نحن جواري من بني النجار، يا حبذا محمدٌ من جار.

قال: «أتحببنني؟».

قلن: إي والله يا رسول الله.

فقال: «وأنا والله أحبكم».---وفي صحيح البخاري ومسلم في حديث الهجرة: وخرج الناس حين قدمَ في الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر، جاء رسول الله. الله أكبر، جاء رسول الله.

وفي دار أبي أيوب الأنصاري أقام -عليه الصلاة والسلام- مُعزَّزًا مُكرَّمًا سبعة أشهر حتى بنى المسجد، وبُنيَت دور أهله ونسائه، فانتقل إليها.---------ونزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أول ما نزل في سُفلِ دار أبي أيوب -يعني في الطابق الأسفل- أبى أن يصعد، قال: الناس يأتونني، فحتى لا أتعبهم ويصعدوا أعلى.

نزل في أسف دار أبي أيوب، وقد آلم أبا أيوب أن يكون رسول الله في السُفل وهو في العلو، وألحَّ عليه أن يصعد، حتى بيَّن له النبي وجهة نظره، لماذا نزل تحت ولم يصعد فوق؟ أن ذلك أرفق به وبمَن يأتيه من المسلمين والزائرين، فقد كانت دار أبي أيون منتدة يجتمع فيه المسلمون.

وبالغ أبو أيوب في إكرام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما كانت تطيب نفسه أن يأكل حتى يأكل رسول الله.-----فكان يُهيِّئُ الطعام، ويُرسله إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فإذا عادت القصعة سأل عن موضع أصابع النبي فيأكل حيث أكل.

وفي ذات مرَّة صنع طعامًا وكان فيه ثوم لم تذهب رائحته، فسأل عن موضع أصابع الرسول فقيل له: لم يأكل منه، هذه المرة لم يأكل.

ففزع، كيف لا يأكل الرسول من الطعام؟!-------فذهب إليه وقال: أحرام هو يا رسول الله؟ الثوم حرام؟

فقال: «لا، ولكنني أكرهه، فإني أناجي مَن لا تُناجي»------- الملائكة، والملائكة تتأذى من الروائح الكريهة الخبيثة.

ومن هنا نهى -عليه الصلاة والسلام- مَن أكل ثومًا أو بصلًا أن يشهد الجماعة في المسجد، لأن البصل والثوم له رائحة كريهة تتأذى منها بنو آدم وتتأذى أيضًا الملائكة.

وإذا كان -يا إخواني- النبي -سبحانه وتعالى- نهى مَن أكل بصلًا أو ثومًا أن يقرب المسجد ويشهد الجماعة؛ فما بالكم بمَن يشرب الدخان؟ وريح الدخان أخبث وأنتن من البصل والثوم، وأقل شيء أن البصل والثوم مباحان وليسا حرام، أما الدخان حرام.-----فلذلك نهيب بإخواننا جميعًا المبتلين بهذا التدخين أن يُقلعوا عنه لله -عز وجل- وحتى لا تتأذى الملائكة برائحتهم الخبيثة إذا دخلوا المسجد.-----وهكذا انتهى رسول الله إلى المدينة واستقرَّ فيها.

ما هي الأعمال التي بدأ بها رسول الله بعد استقراره في المدينة؟

1---أول عمل قام به -عليه الصلاة والسلام(((بناء المسجد)))

أول عمل بناء المسجد، إذن لابد في هذه الأولويَّة من شيء مهم جدًا، قبل أن يفعل أي شيء بنى المسجد، فبناء المساجد لها أهمية في الإسلام ودور عظيم. --------لذلك قبل أن نتحدَّث عن بناء المسجد

نتكلم أولًا عن دور المساجد في نشر الدين ونشر الدعوة والتربية، والإعداد لك شيء.---فنقول في بيان منزلة-المساجد في الإسلام: يقول الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: 18].

1-----فالمساجد بيوت الله في الأرض ----ومهبط الملائكة،---- ومثوى عباد الله الصالحين في الأرض، فيها يصل المسلم حباله بحبال السماء،---- ويُزكِّي نفسه، ويسمو بروحه حتى تصل إلى معارج القدس،-- ثم هي إلى ذلك مصحَّات للأبدان كما هي مصحَّات للأرواح،-- مستشفيات لعلاج الأبدان كما أنها مستشفيات الأرواح، فلابد لمن يغشاها مصليًا أن يتطهر من الأحداث والأنجاس في النفس والثوب والمكان.----وهي المستراح لمَن لا مستراح له، والمأوى والملجأ لمَن لا مأوى له، وهي منازل أدب ووقار، فلا رفع فيها لصوت ولا للغو ولا فسوق، وهي منازل طهر ونظافة وتجمُّل.

وقد جاء في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد وكاد الصحابة أن يتناولوه بالأذى، فمنعهم النبي -عليه الصلاة والسلام- ثم قال للرجل معلمًا: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله -عز وجل- والصلاة وقراءة القرآن».

2---فلا يجوز أن تكون المساجد للبيع والشراء والعبث واللهو، ولا لوجدان الضالة، ولا لإثارة الأهواء والمنازعات والمشاحنات السياسية ونحوها، ولا للخلافات الدينية، وقد كان من أدب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الموعظة التلويح لا التصريح، فكان يقول: «ما بال أقوامٍ يفعلون كذا وكذا»- وهي طريقة فذَّة مُبتكرة في التربية والتعليم، ما كان يقول له: يا فلان لماذا فعلت كذا؟ لما قلت الكلمة هذه؟ لا، كان يترفَّق بالناس، ويعاملهم بأدب ورفق ولين، «ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه».

3--وبذلك التفوا حوله كما قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: 159].وفي الحق أن المساجد في صدر الإسلام ولا سيما المسجد النبوي كانت تؤدي خدمات دينيَّة وعلميَّة واجتماعيَّة وصحيَّة وحربيَّة، ---فكانت المساجد متعبَّدات يُؤدِّي فيها المسلمون شعائر دينهم، وكانت تقوم مقام المعاهد والجامعات في التربية والتعليم والتهذيب، ومقام الجمعيات الخيرية في جمع الصدقات والمساعدات، والتعاون على البر والتقوى.

4--وكانت تقوم مقام الملاجئ والمبرات، يلجأ إليها الفقراء ممن لا ما لهم ولا دار، فيجد فيها المسكن والمأكل والمشرب كما كان الحال في أهل الصُّفَّة أضياف الله وأضياف المسلمين-----، فيتمرنون على فنون الحرب والقتال،---

وهكذا نجد أن المساجد في صدر الإسلام كانت تؤدي من الخدمات ما تقوم به جهات عدَّة في عصرنا الحديث.---

لذلك كان أول عمل قام به النبي -عليه الصلاة والسلام: هو بناء المسجد.

وأول مسجد بناه النبي -عليه الصلاة والسلام- هو مسجد قباء،---- حيث نزل عند بني عمرو بن عوف في قباء، وفي هذا المسجد يقول الله تعالى:

{لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108].-----لما نزلت الآية بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أهل قباء يسألهم:

«ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فيه؟»، ربنا أثنى عليكم في طهوركم، كيف تتطهرون حتى أن الله أثنى عليكم؟

فقالوا: يا رسول الله، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه أو قال: مقعدته. فقال: «هو هذا».

فطبعًا من الواجب على المسلم إذا قضى حاجته من بولٍ أو غائط أن يستنجي، الاستنجاء يكون بالحجارة وأمثالها مما يُزيل الأثر الباقي على موضع الخارج من بولٍ أو غائط، حتى الورق الذي موجود الآن في الحمامات، الورق الصحي -الفايل- يجوز إثارة الأثر به، ولكن استعمال الماء أفضل، لأنه أبلغ في إزالة الأثر الباقي، ولذلك أثنى الله تعالى على أهل قباء في طهورهم، فقال:

{فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة: 108].

*****وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء.

******وقال بعضهم: هو مسجد النبي -عليه الصلاة والسلام.

ولا تعارض بين القولين، فأول مسجد بُنيَ هو مسجد قباء، وقد أسس على التقوى، ولا شك أن مسجد المدينة أيضًا أسس على التقوى، ولكن كان مسجد قباء أسبق من مسجد المدينة النبوية.--فلما أقام النبي -عليه الصلاة والسلام- بدار أبي أيوب بنى المسجد النبوي.---وقد كان ليتامى، فعرض عليهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- شراء الأرض منهم ليبني مسجده، وعمل المسلمون جميعًا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بناء هذا المسجد.------ولا شك أن مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- أفضل من مسجد قباء، ومسجد النبي -عليه الصلاة والسلام- ----هو أحد المساجد الثلاثة التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم:

«لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجدالحرام، ومسجد بيت المقدس».

وفي الصحيحين : أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وفي مسجد النبي الروضة الشريفة التي هي من رياض الجنة، كما في الصحيحن أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

وبعد بناء المسجد بُنيَت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حُجَر حول المسجد الشريف لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن تلك الحُجَر كقصور الملوك والرؤساء والأمراء----، الحُجَر لم تك قصورًا ولا فيلل؛ إنما كانت بيوت متواضعة، كانت كالمسجد، المسجد بُنيَ بالطوب النيء،--- وهو طين وليس حجارة، بني بالطوب النيء وبعض الحجارة، -----وكان مُسقَّف بالنخل والجريد، وكذلك كانت بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم.---فهذا أول عمل قام به -عليه الصلاة والسلام- بعد استقراره في المدينة.

2--العمل الثاني هو: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

الأنصار: أهل المدينة، أهل المدينة هم في الأصل **الأوس والخزرج**، فجمع الله شملهم ووحَّد صفَّهم بالإسلام، وصاروا اسم واحد **"أنصار الله ورسوله"**.

المهاجرين: ----هم الذين خرجوا من دياهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله.

الأخوة الإيمانية -يا إخواني- لها دورٌ عظيم في قوَّة المجتمع المسلم وفي رهبة الأعداء منهم، وفي نصرهم على عدوهم، فطالما كان المسلمون متمسكين متآلفين متحابِّين، مثلهم كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام: «كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، تكون شوكتهم قويَّة، والعدو لا يفكر أبدًا أن يهجم عليهم، وإذا فكر أذاقوه مرارة الهزيمة، فالاجتماع قوَّة، والأخوة الإيمانية نعمة أنعم الله بها علينا، {وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103]، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10].

الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما استقر بالمدينة ألهمه الله -سبحانه- أن يعمل عملًا في غاية الحسن، حسن السياسة وأصالة الرأي وبُعد النظر، فعد بين المهاجرين والأنصار أخوة بها يتعاونون ويترافقون ويتناصرون ويتوارثون.

وقد اختلف العلماء في وقت هذه المؤاخاة، فقيل: بعد الهجرة بخمسة أشهر----.وقيل: بتسعة أشهر.--وقيل: والنبي يبني المسجد.----وقيل: قبل بنائه.

والأرجح: أنه كان بعد بناء المسجد.----وكان ذلك جمعًا للشمل، وتوثيقًا للعُرى،--------- وقطعًا لدسائس الأعداء، ولا سيما اليهود الذين يعيشون في المدينة.فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم----- وعلي بن أبي طالب أخوين،

وأبو بكر----- وخارجة بن زيد أخوين،

وعمر----- وعتبان بن مالك أخوين،

وهكذا آخى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين الصحابة من المهاجرين------- والأنصار.

قال ابن سعد: آخى بين مئة، خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار.

والله -سبحانه وتعالى- قد أقرَّ هذه المؤاخاة وما جعله فيها رسول الله من التوارث إلى حين، ثم الأرحام { بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} [الأحزاب: 6].

فكانت هذه المؤاخاة منقبة عظيمة من مناقب الأنصار،----- وقد ضرب الأنصار المثل الأعلى في الإيثار، فكان الرجل يأخذ بيد أخيه من المهاجرين ويقول له: هذا مالي نصفه لي ونصفه لك.

ومَن كانت عنده زوجتان يقول: وعندي امرأتان، انظر أيهما تعجبك -----وأتنازل لك عنها فتُطلَّق وإذا انقضت عدتها تزوجتها.

فضرب الأنصار المثل الأعلى في الإيثار----، ولكن المهاجرين ضربوا المثل الأعلى أيضًا في الزهد والورع، يعني لما أخوك يقول لك: خذ من مالي، هذا شيء طيب منه، أنت أيضًا تكون أفضل ولا تأخذ، وهذا ما فعله المهاجرون، الأنصار عرضوا على إخوانهم أن يُقاسموهم أموالهم، المهاجرين قالوا: لا.---ففي الحديث قال الأنصار لرسول الله: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل.-----

قالوا: لا يا رسول الله، لا نُقسم أموالهم بيننا.

قالوا: طيب، تكفونا المؤونة، اشتغلوا في النخل وتكون مشاركة ومزارعة، الأرض أرضنا وأنتم تزرعونها ونقسم الثمر بيننا.-----قالوا: نعم، وبهذا نأخذها مقابل عمل.

هكذا المسلم يا أخواني، المسلم لازم يعمل ويكسب ولا يكن عالة على غيره.

عبد الرحمن بن عوف المثل الأعلى في ذلك، لمَّا أخذه أخوه وذهب به، قال: هذا مالي، نصفه لك ونصفه لي، والزوجتان واحدة أطلقها وتتزوجها بعد ذلك.-----قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، نحن لم نأتِ نأخذ أموالكم ولا نساءكم،

دُلَّني على السوق. قل متى سوقكم وأين، واتركني.---ودله على السوق، وذهب عبد الرحمن بن عوف، يومين ثلاثة نزل السوق، ما شاء الله رزقه الله وتزوج وعاش.--------فضرب الصحابة الأنصار المثل الأعلى في الإيثار، والمهاجرين ضربوا المثل العلى في الزهد فيما أيدي إخوانهم.--وقد مدحهم الله -تبارك وتعالى- في قوله -عز وجل: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر 8، ---. فالأخوة الإيمانية اليوم -يا إخواني- الآن عُراها مُقطَّعة، والصلات ليست موجودة بيننا، الدنيا انفتحت علينا، فقطَّعت صِلاتنا، وأوقعت بيننا العداوة والبغضاء والشحناء والخصومات، العداوة والبغضاء الآن موجودة بين الأشقاء، فضلًا بين عموم المسلمين،--- فيجب علينا أن نتذكر أن من أهمّ الأعمال وأعظم الأعمال التي قام بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة المؤاخاة بين

المهاجرين والأنصار، يجب علينا أن نتذكر أننا إخوة آخى الله بيننا، {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]، فيجب علينا أن نحافظ على هذه الأخوة، وأن يؤدي كل مسلم لإخوانه المسلمين الحق الذي جعله الإسلام للمسلم على أخيه، حق المسلم على المسلم خمس: أن تفشيَ السلام عليه، وإذا مرض تعوده، وإذا مات تتبع جنازته، وإذا استنصحك تنصح له، وإذا كان محتاجًا تقف بجواره.

الأخوة الإيمانية، «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهروالحمى»

3---كذلك من أهم الأعمال التي قام بها النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد استقراره في المدينة

((معاهدة اليهود.)))------فلئن كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بإخائه بين المهاجرين والأنصار بلغ الغاية في الحكمة والتدبير والسياسة؛ فقد كان العمل البارع حقًّا الذي يدل على الحنكة السياسية والقدرة الفائقة على حلّ المشاكل هو ما قام به النبي -عليه الصلاة والسلام- من موادعة اليهود ومحالفتهم، فقد كتب بين المهاجرين والأنصار كتابًا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم.-----

النبي -عليه الصلاة والسلام- دخل المدينة وفيها ثلاث طوائف من اليهود----، بنو النضير،------ وبنو قينقاع،----- وبنو قريظة، وكان اليهود يقرؤون في كتبهم أن نبيَّ آخر الزمان سيهاجر إلى يثرب، فهاجروا إليها في انتظاره، وكما قلنا في الدرس السابق لما كان أهل المدينة الأوس والخزرج يحاربون اليهود ويغلبونهم، كان اليهود يقولون للعرب ماذا؟ غدًا يظهر نبي آخر الزمان ونتبعه ونؤمن به ونحاربكم معه.-----وسبحان الله! لما جاء لم يفعلوا، ووفَّق الله أهل المدينة لاتباعه

، وكان ذلك السبب في بيعة العقبة -كما شرحنا سابقًا.-----فالنبي -عليه الصلاة والسلام- آخى بين الأنصار والمهاجرين، فقوَّى العلاقات ووطدَّ الصِّلات.-----طيب، اليهود لازم يأمن جانبهم، فكتب بينهم كتابًا عاهدهم فيه وأقرَّهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم شروطًا له، وشرط لهم أيضًا عليه شروط.----وهذا هو نص الكتاب الذي فيه هذه المعاهدة التي عاهدة فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- اليهود.

{{بسم الله الرحمن الرحيم}}

هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس،

1-- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين». ثم ذكر كل بطنٍ من بطون الأنصار وأهل كل دار.

2--وكان في هذا الكتاب: «وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثًا -يعني يُحدث حدثًا يستوجب عليه العقوبة- ولا يؤويه، وانه مَن نصرع أو آواه؛ فإن عليه لعنة الله وغضبة يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله -عز وجل- وإلى محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا مَن ظلم وأثم؛ فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته.

3---وأن ليهود بني النجار وبين الحارث، ...، -وسماهم- مثل ليهود بني عوف، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، ولا ينحجر على ثأر جُرح، وأنه مَن فتك فبنفسه إلا من ظُلم، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على مَن حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرءٌ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن يثرب حرام لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

4--وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرَّه وأنه لا تُجار قريش ولا مَن نصرها، وأن بينهمخ النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويُلبسونه؛ فإنه يُصالحونه.

5--وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك؛ فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم».

هذه هي الوثيقة التي وضعها النبي -عليه الصلاة والسلام---- منذ قرابة أربعة عشر قرنًا، وهي وثيقة جديرة بالإعجاب حقًّا، وثَّق فيها ما بين المهاجرين والأنصار من إخاء وحلف، وقرَّر فيها حريَّة العقيدة لغير المسلمين، حرية الرأي وحُرمة المدينة، وحرمة الحياة وحرمة المال.

وبذلك سبق -عليه الصلاة والسلام- إلى تقرير حقوق الإنسان منذ ذلك الزمن البعيد، ----فحقوق الإنسان في الإسلام، وقرَّر فيها أيضًا تحريم الجريمة والإثم والغدر والخديعة، وهي فتحٌ جديدٌ حقًّا في الحياة السياسية والمدنية في العالم يومئذٍ، هذا العالم الذي كانت تغلب عليه روح الاستبداد، وتعبث فيه يد الظلم فسادًا، ولا تُراعى فيه الحقوق ولا الحرمات.----

ومن مقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرمًا آمنًا---، وأصبح كلًا من المسلمين واليهود في أمنٍ من جانب الآخر، وأصبح اليهود ملزَمين بمعاونة المسلمين إذا ما دَهَم المدينة عدو، وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم.

ولقد وفَّى النبي والمسلمون بكل الالتزامات التي أوجبتها هذه الوثيقة عليهم، وفي المقابل لم يكن من اليهود وفاء؛ بل عادوا إلى طبيعتهم من الدسِّ والوقيعة والخداع، فحاولوا الوقيعة بين الأوس والخزرج، وهمُّوا بقتل النبي، استباحوا حرمات المسلمين، فكانت عاقبة أمرهم ذُلًا وهوانًا، وإخراجًا من المدينة وقتلًا لبعضهم -كما سيأتي في السيرة إن شاء الله تبارك وتعالى.

هذه أهم الأعمال التي قام بها النبي -عليه الصلاة والسلام- بعد استقراره في المدينة.

وبدأ الوحي ينزل، وبدأت التشريعات تنزل من رب العالمين -سبحانه وتعالى- --لأن في مكة لم يكن فيه غير الوحيد والعقيدة، وبعد عشر سنين أُمرُوا بالصلاة في الإسراء والمعارج -كما شرحنا سابقًا- فلم يكن فيه لا حلال ولا حرام، ولا تكاليف ولا شيء، ولكن لما استقروا وأصبحت لهم دولة، وأمِنُوا على نفسهم نزل الحلال والحرام، كما تقول عائشة -رضي الله عنها:

"كان أول ما نزل من القرآن آيات من المفصل -والمفصل هو حزب يبدأ من أول ق وينتهي بسورة الناس، آيات من المفصل- فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول ما نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا. ولو نزل أول ما نزل: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا".

فظلَّ -عليه الصلاة والسلام- ثلاثة عشرة سنة في مكة يؤسس العقيدة -يا إخواني- الأساس الأول، أنات لما تبني بيتًا تؤسس، وكلما كنت ناوي ترفع عاليًا فلازم يكون الأساس قوي، قوة البنيان من قوة أساسه.----فالرسول -عليه الصلاة والسلام- في مكة أسس العقيدة في نفوس أصحابه.

انظر من أثر تأسيس العقيدة! هانت عليهم أموالهم وديارهم وأوطانهم وتركوها في سبيل عقيدتهم، فلما استقروا في المدينة وصارت لهم دولة ونزلت الشرائع:.

1--فأول ما شُرع: الأذان.-- وهو الإعلام بالصلاة، الصلاة شُرعَت في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات ليلة المعراج، لكن لم يكنوا في مكة يؤذنون ولا يصلون جماعة، لأن قريش موجودة وتمنعهم من ذلك،

لقد فرض الله -سبحانه وتعالى- الصلوات الخمس على الأمة قبل الهجرة ليلة الإسراء والمعراج. فكانوا يصلون ولا يؤذنون، لأن الظروف المحيطة بهم في مكة ما كانت تسمح لهم بالدعوة إلى الصلاة والإعلان بها، فلما اطمأنَّ الرسول وأصحابه بالمدينة، واستحكم أمر الإسلام، وبدأ تشريع الأحكام، وأصبحوا على حال تؤهلهم لإظهار شعائر الإسلام؛ فكر النبي والمسلمون في وسيلة للإعلان عن الصلاة.------نحن الآن أصبحنا آمنين، أصبح لنا مكان ولنا مسجد، طيب كيف نعرف الناس أنه حان وقت الصبح وحان وقت الظهر، وحان وقت العصر؟ كيف نعرفهم؟

روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عمر قال: "كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون، فيتحيَّنون الصلاة، ليس يُنادى لها"، كانوا مثلًا يقولون: دخل وقت الظهر، فيقوموا يصلون. وبعد قليل يقولون: دخل وقت العصر، يقوموا يصلون، وهكذا.

فتكلموا يومًا في ذلك، قالوا: نريد نعمل شيئًا ننبِّه بها الناس الذين لم يأتوا أن الصلاة حان وقتها.

فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، ندق الجرس والناس تعرف دخول وقت الظهر، دخول وقت العصر.

وقال بعضهم: اتخذوا بوقًا مثل بوق اليهود، مزمار تنفخون فيه.

فقال عمر: أولا تبعثون رجلًا ينادي بالصلاة؟

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «قم يا بلال فنادِ للصلاة».---وكان هذا النداء بلفظ: الصلاة جامعة.

أول نداء بلفظ: الصلاة جامعة.-------هذا أول صفة أذان، "الصلاة جامعة" فيأتون للصلاة.

فبينما هم على ذلك، راى عبد الله بن زيد بن عبد ربه في منامه من يُلقِّنه الأذان-----، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره، فقال: إنها لرؤيا حق، وأقرَّه على ذلك.

وقال لعبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي رأى الأذان في المنام: «ألقه على بلال فإنه أندى صوتًا منك»، بلال صوته حلو، فقف بجانبه ولقِّنه الأذان الذي رأيته في المنام حتى يؤذن به إلى أن يحفظه، وبعد ذلك بلال يؤذن، لأنه أندى صوتًا.

إذن لما نتخذ مؤذن نتخذه صوتًا نديًا، المؤذن يكون صوته حلو وندي.---ولما سمع الفاروق عمر -رضي الله عنه- الأذان -بلال يؤذن بالأذان- جاء يجر رداءه إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-

فقال: يا نبي الله، لقد رأيتُ مثل الذي رأى. فقال رسول الله: «الحمد لله، رؤيا حق إن شاء الله تعالى».

وكان بلال بن رباح هو مؤذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع وجود مساعدين له في بعض الأحيان.—

، حتى أنه جاء في الحديث: أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان إذا أراد أن يُغير على قومٍ انتظر حتى يسمع الأذان، إذن سمع أذان فهم مسلمون،------ وإذا لم يسمع الأذان فهم غير مسلمين.

وفي الحديث عنه -عليه الصلاة والسلام-

«أنه ما من ثلاثة في قرية أو بدو لا يؤذنون، ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان».

فالأذان مطلوب حتى يُستحب للرجل إذا كان في البادية وحده وأراد الصلاة أن يؤذن، ويرفع صوته بالأذان، فقد جاء في الحديث:

«ما من مسلم يؤذن فيسمع صوته إنس ولا جن ولا حجر ولا شجر إلا وشهد له يوم القيامة».--وقد قال -عليه الصلاة والسلام- في فضل المؤذنين: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة».--فهذا أول التشريعات، مشروعية الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة حتى يجتمع المصلون ويصلون في الجماعة.

2---ومن التشريعات التي شُرعت في المدينة بعد ذلك: الجهاد، الجهاد في سبيل الله لقتال أعداء الله، لتكون كلمة الله هي العليا.-----

فحن نعلم من خلال السيرة في العهد المكي أن المسلمين كانوا مستضعفين في مكة، وقريش تسلطوا عليهم بالضطهاد والتعذيب، قُتل منهم من قُتل تحت وطأة التعذيب، وكلما يشتكون للرسول يقول: **«اصبروا».**---وأكثر رب العالمين -سبحانه وتعالى- من الأمر بالصبر في القرآن في القرآن المكي، اصبر، اصبر، اصبروا، كفوا أيديكم، أقيموا الصلاة، آتوا الزكاة، تربوا أولًا، أسسوا أنفسكم أولًا.

فلما هاجروا إلى المدينة واستقرُّوا فيها أُذن لهم في الدفاع عن أنفسهم، فنزل قول الله تعالى:

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج: 39].

فالكفار لم يتركوا النبي وأصحابه بعد الهجرة، لا؛بل بعثوا إليهم رسالات إنذار، لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم، سنستبيح بيضتكم، ونستأصلكم، وكذا، كذا.---فأذن الله للمسلمين في الدفاع عن أنفسهم،

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39].

وإلى هنا انتهى وقت الدرس فنتكتفي بهذا ونواصل الحديث -بإذن الله- في الدورس القادمة.

سائلين الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يرزقنا التأسي بالنبيصاحب هذه السيرة، فهذا هو المقصود -يا إخواني- من دراسة السيرة النبوية العطرة، ان نتأسَّى برسول الله في الصغيرة والكبيرة، في الخاصة والعامة، كما قال تعالى:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21].

هذا والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.